محمد محفوظ

حقائق الألفة

حين نتحدث عن مكونات مجتمعاتنا العربية والإسلامية المذهبية والقومية ، فإننا لا ندعو إلى تكريس الفروقات المذهبية والقومية بين العرب والمسلمين ، وإنما ندعو إلى إطلاق حالة من التعارف العميق بين مكونات الأمة وتعبيرات أوطانها . .

والذي يؤكد هذه القناعة ، هو إننا لا نتحدث عن الشيعة أو السنة أو أي مذهب إسلامي ، بوصفه مجموعة من العقائد والخصوصيات ، وإنما بوصفهم جماعة بشرية يشكلون حقيقة اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية ، يؤثرون في الواقع العام ، كما يتأثرون به . .

من خلال هذه الرؤية نحن نتحدث عن تعبيرات الأمة المتعددة . وفي هذا السياق ثمة رؤيتان وهما :

رؤية تتبنى خيار المزيد من إبراز الهوية المذهبية والقومية بكل تعبيراتهما وشعائرهما وطقوسهما ، حتى لو أثارت بعض هذه التعبيرات الهواجس والمخاوف لدى شريك الوطن أو الآخر المذهبي والقومي . .

وبين رؤية أخرى تقول أن المجتمعات العربية والإسلامية بكل مكوناتها المذهبية والقومية ، لا تحتاج في هذه اللحظة إلى إبراز هوياتها المذهبية المتصارعة – المتحاربة والمتوجسة من بعضها البعض ، بل هي بحاجة إلى بناء جسور الثقة بين مكوناتها ، وإطلاق مبادرات للفهم والتفاهم والحوار والتواصل والتعايش بين جميع تعبيراتها وأطيافها . .

وإن بناء الثقة يتطلب إبراز المشتركات وتنميتها ، وصياغة السياسات والأولويات على هدى هذه الجوامع والمشتركات . .

وإن الاستغراق في مسائل التـــــــــباين المذهبي والقومي بين أهل الوطن الواحد ، سيفضي إلى المزيد من التآكل الداخلي الذي لا يربح إلا خصوم الأمة والعرب والمسلمين . .

وفي سياق تظهير هذه القناعة المركزية ، نود التأكيد على النقاط التالية :

1- إن المسلمين بكل مذاهبهم ومدارسهم الفقهية وقومياتهم وأعراقهم ، هم جزء أصيل من الأمة الإسلامية ، وإن مستقبلهم ، ليس منفصلا عن مستقبل الأمة الإسلامية .

وإن طبيعة الظروف والتحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية سواء الداخلية أو الخارجية ، تتطلب بناء رؤية وصياغة إستراتيجية تمكن هذه المجتمعات بكل نخبها ومؤسساتها العامة من مواجهة هذه التحديات . .

2- إن المستقبل السياسي والثقافي والاجتماعي للمسلمين جميعا ، مرهون بقدرة المجتمعات الإسلامية بكل أطيافها من تطوير علاقتها الداخلية بين مختلف تعبيراتها ومؤسساتها الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية . .لأن الكثير من الجهود والطاقات تصرف في صراعات وتباينات أقل ما يقال عنها أنها لا تخدم راهن هذه المجتمعات ومستقبلها ، وإنما تضره وتدفعه نحو خيارات تصرف هذه المجتمعات بكل قواها ومؤسساتها عن القضايا الكبرى والأهداف العليا لهذه المجتمعات والأمة جمعاء . .

3- في كل حقب ومراحل تطور وتقدم هذه المجتمعات ، هي بحاجة إلى مؤسسات للرعاية والحماية الاجتماعية ، التي تحتضن الحلقات الضعيفة في المجتمع ، وتوفر مؤسسات جادة للتنشئة والتربية والتدريب ، وبناء الأطر الاجتماعية والخيرية والتطوعية التي تستوعب طاقات الشباب وتوفر الخدمة على مستويات مهنية راقية لكل المحتاجين والمعوزين . .

فالمجتمعات لا تصمد في معاركها وتحدياتها المختلفة فترة زمنية طويلة ، بدون مؤسسات الرعاية والحماية . .

وفي هذا السياق ندعو المؤسسات والأطر الدينية والاجتماعية المختلفة ، للاهتمام الجدي بهذه المسألة ، ودعم وتشجيع الجهات والفعاليات الصالحة في المجتمع للقيام بهذه المهمة الحيوية والهامة في كل مجتمعاتنا ومناطقنا . .

فمعركة مجتمعاتنا ليست معركة سياسية أو ثقافية فحسب ، وإنما هي أيضا معركة اجتماعية لمحاربة الفقر برعاية مؤسسة للفقراء والتخطيط المستمر والدائم لإنهاء كل موجباته (الفقر) من مجتمعاتنا . . كما

إننا بحاجة أن نقدم حلولا عملية لمواجهة كل الصعوبات المعيشية والحياتية التي تواجه مجتمعاتنا وبالخصوص الفئات والشرائح الضعيفة فيها . . ودائما تبقى قوتنا في التزامنا الأخلاقي والقيمي .

4- من الضروري أن ندرك أن إنهاء أزمات وجودنا ، مرهون بقدرة مجتمعاتنا العربية والإسلامية على التحرر من ربقة الاستبداد ، وتعزيز الحياة الدستورية والديمقراطية وقيام دولة المواطنين التي لا تفرق لاعتبارات دينية أو مذهبية أو عرقية بين مواطن وآخر . .

فخلاصنا في كل مجتمعاتنا من مشكـــــــــــــــــلاتنا السياسية والأمنية والاقتصادية ، يعتمد على قدرتنا مع شركائنا في الوطن ، على بناء دولة مدنية عادلة تستوعب جميع الأطياف وتكون تعبيرا أمينا عن مكونات شعبها ومصالحه الحيوية .فلا خلاص لنا بمعزل عن إصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية العامة في مجتمعاتنا ودولنا . .

لهذا فإننا نعتقد أن إنهاء حالة التباين والخلافات بين توجهات الأمة وأطيافها ، يقتضي العمل على بناء حقائق الاتحاد والألفة بين هذه التوجهات والأطياف . . لهذا فإنه لا يكفي أن نتحدث عن الألفة والوحدة ، وإنما من الضروري العمل على بناء معطيات وحقائق للألفة والوحدة في الفضاء الاجتماعي . .

وعلى كل حال ما نود أن نقوله في هذا السياق ، أن العلاقات الداخلية بين تعبيرات وأطياف ومؤسسات المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى مبادرات وخطوات جادة من الجميع لتحسين العلاقة وتطويرها . . وإن استمرار حالة الجفاء والتباعد وسوء الظن والفهم

وغياب التنسيق والتعاون يفضي إلى نتائج سلبية على عموم الواقع الإسلامي .

وهذا بطبيعة الحال ,يتطلب من جميع الإطراف , وبالذات في ظل هذه الظروف الحساسة , العمل الجاد من اجل واد كل محاولات الفتنة بين العرب والمسلمين ,وبناء حقائق ومعطيات يحس بها الجميع وتعزز قيم الإخاء والألفة بين المسلين بكل تعبيراتهم وحقائقهم المجتمعية . لهذا فان المطلوب من الجميع , ليس رفع الصوت للمطالبة بالألفة بين المسلمين فحسب ,بل بناء حقائق التآخي والألفة في واقعهم الحياتي بكل أبعاده ومستوياته .